

# عَدْلُ الْحَبِيبِ ﷺ

﴿وَأَمْرٌ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ﴾ [الشورى: 15]

تجسيد محمد ﷺ للعدل بتطبيق عملي



«إن شعور المساواة والإخاء الذي أسسه بين أعضاء الجمعية الإسلامية، كان يطبق تطبيقاً عملياً حتى على النبي نفسه»

كرادي فو

بارون ومستشرق فرنسي.

بينما رسول الله ﷺ يسوي صفوف أصحابه يوم بدر، إذ مر بأحد أصحابه - وكان متقدماً على الصف - فدفعه رسول الله ﷺ ليسوي الصف فخرج الرجل مشتكياً طالباً القصاص من النبي ﷺ، فأذن له النبي ﷺ في القصاص، فطلب منه الصحابي أن يكشف عن بطنه ليقصص منه.

وهنا كشف رسول الله ﷺ عن بطنه، وطلب منه أن يقتص لنفسه، تجسيداً واقعياً لعدلٍ وَسِعَ القريبَ والبعيدَ، عدلٌ يزن بالحقِّ ويقيم القسطَ، فما كان من الصحابي إلا أن اعتنق رسول الله ﷺ، وقَبِلَ بطنه؛ إرادة أن يكون ذلك آخر عهده بالدنيا قبل المعركة، فدعا رسول الله ﷺ له بخير. [السيرة النبوية لابن هشام]

## عدل الحبيب ﷺ ولو على نفسه

عن عبد الله بن مسعود قال: كنا يوم بدر كل ثلاثة على بعير، وكان أبو لبابة وعلي بن أبي طالب زميلي رسول الله ﷺ، قال: وكانت عقبة - دور - رسول الله ﷺ، فقالوا: نحن نمشي عنك، فقال: «مَا أَنْتُمْ بِأَقْوَى مِنِّي، وَلَا أَنَا بِأَغْنَى عَنِ الْأَجْرِ مِنْكُمْ» (رواه أحمد).

لقد كره النبي ﷺ التمييز على أصحابه، وتحمل المشاق والمتاعب مثلهم؛ تطبيقاً للعدل والمساواة.

## عدل الحبيب ﷺ ولو على قرابته

اتضح ذلك في قصة المرأة المخزومية التي سرقت، واستعان أهلها بأمامة بن زيد كي يشفع لهم عند رسول الله ﷺ فلم يقبل شفاعته، وقال كلمة خلدتها التاريخ: «إِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ قَبْلَكُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ، وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الضَّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الْحَدَّ، وَإِيْمُ اللَّهِ لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتُ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَيْهَا» (متفق عليه).

## عدل الحبيب ﷺ ولو على أصحابه

سرق رجلٌ من المسلمين - اسمه «طعمة» - درعًا من جاري له مسلم، وكانت الدرع في جراب فيه دقيق، فجعل الدقيق ينثر من خرق في الجراب حتى انتهى إلى الدار.

ثم خبأها عند رجل من اليهود، فالتُمست الدرع عند «طعمة» فحلف بالله ما أخذها، فقال أصحاب الدرع: لقد رأينا أثر الدقيق في داخل داره. فلما حلف تركوه، واتبعوا أثر الدقيق إلى منزل اليهودي، فوجدوا الدرع عنده، فقال اليهودي: دفعها إليّ طعمة!! فجاء قوم طعمة إلى رسول الله ﷺ وسألوه أن يجادل عن صاحبهم، فهَمَّ رسول الله أن يعاقب اليهودي، فنزل الوحي بخلاف ذلك؛ فلم يكتف رسول الله ﷺ شيئًا، بل أعلن أن اليهودي بريء، وأن السارق مسلم.

[تفسير ابن كثير].

## عدل الحبيب ﷺ بين زوجاته

ومن داخل بيت النبوة تبرز صورٌ أخرى للعدالة النبوية، فقد كَانَ النبي ﷺ يقسم بين نسائه بالقسطِ التام سفرًا وحضرًا فعن عائشة رضي الله عنها أنه ﷺ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا أَرَادَ سَفَرًا أَفْرَعَ بَيْنَ نِسَائِهِ، فَأَيْتَهُنَّ خَرَجَ سَهْمُهَا خَرَجَ بِهَا مَعَهُ» (رواه البخاري)، بل وَحَدَّرَ النبي ﷺ مِنَ الْمَيْلِ إِلَى إِحْدَى الزَّوْجَاتِ عَلَى حِسَابِ الْأُخْرَى فَقَالَ ﷺ: «مَنْ كَانَتْ لَهُ امْرَأَتَانِ فَمَالَ إِلَى إِحْدَاهُمَا جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَشِقُّهُ مَائِلٌ» (رواه مسلم).



- هل يمكن العدل بين الزوجات أو الأبناء في المحبة؟ وهل هذا مطلوب شرعًا؟  
- ما ردك على من يزعم أن الإسلام ظلم المرأة، وأنها لم تنل حقوقها؟

## عدل الحبيب ﷺ بين الأبناء

ومن صور ذلك عن عامر، قَالَ: «سَمِعْتُ النَّعْمَانَ بْنَ بَشِيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وَهُوَ عَلَى الْمَنْبَرِ يَقُولُ: أَعْطَانِي أَبِي عَطِيَّةً»، فَقَالَتْ عَمْرَةُ بِنْتُ رَوَاحَةَ: «لَا أَرْضَى حَتَّى تُشْهَدَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ»، فَاتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: «إِنِّي أَعْطَيْتُ ابْنِي مِنْ عَمْرَةَ بِنْتُ رَوَاحَةَ عَطِيَّةً، فَأَمَرْتَنِي أَنْ أَشْهَدَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ»، قَالَ: «أَعْطَيْتَ سَائِرَ وَلَدِكَ مِثْلَ هَذَا؟»، قَالَ: لَا، قَالَ: «فَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْدِلُوا بَيْنَ أَوْلَادِكُمْ»، قَالَ: «فَرَجَعَ فَرَدَّ عَطِيَّتَهُ» (رواه البخاري).



### دين محمد ﷺ دين العدالة



« إذا أراد العالم النجاة من شروره فعليه بهذا الدين، إنه دين التعاون والسلام والعدالة في ظل شريعة محكمة » .

إدوارد مونتيه

مستشرق سويسري .

### العدالة والرحمة من سمات

محمد ﷺ الشخصية



« إن في شخصيته صفتين هما من أجل الصفات التي تحملها النفس البشرية وهما العدالة والرحمة » .

برتلي هيلر

مستشرق ألماني .

### عدل الحبيب ﷺ في القسمة والقضاء

ويبرز عدله ﷺ في قضائه بين المتخاصمين، كيف لا وهو القائل ﷺ «لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا» (متفق عليه)، ولما دخلت ناقة للبراء بن عازب مزرعة رجل فأفسدتها، «فَقَضَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى أَهْلِ الْأَمْوَالِ حِفْظَهَا بِالنَّهَارِ، وَعَلَى أَهْلِ الْمَوَاشِي حِفْظَهَا بِاللَّيْلِ» (رواه أحمد).

ومن ذلك ما ورد أن ذا الخويصرة التميمي جاء والنبي ﷺ يقسم الأموال، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ اعْدِلْ! فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَيْلَكَ! وَمَنْ يَعْدِلُ إِذَا لَمْ أَعْدِلْ؟ قَدْ خَبِثُ وَخَسِرْتُ إِذَا لَمْ أَكُنْ أَعْدِلُ» (متفق عليه).



حذر النبي ﷺ من ضد العدل وهو الظلم، اذكر بعض الأدلة على عظيم جرم الظلم في الشرع

### عدل الحبيب ﷺ مع المشركين

ويتضح ذلك في معاملته ﷺ مع صفوان بن أمية بعد فتح مكة، وكان صفوان آنذاك مشركاً، واحتاج الرسول ﷺ إلى بعض الدروع للقتال في حنين، وكان صفوان من تجار السلاح في مكة، وكان عنده عدد كبير من السلاح؛ فقال له رسول الله ﷺ: «يَا صَفْوَانُ، هَلْ عِنْدَكَ مِنْ سِلَاحٍ؟» قال: «عَارِيَةٌ أَمْ غَسْبًا؟» قال: «لَا، بَلْ عَارِيَةٌ». فأعاره ما بين الثلاثين إلى الأربعين درعاً، وغزا رسول الله ﷺ حنيناً، فلما هُزِمَ المشركون، جُمِعَت دروع صفوان، ففقد منها أَدْرَاعًا، فقال رسول الله ﷺ لصفوان: «إِنَّا قَدْ فَقَدْنَا مِنْ أَدْرَاعِكَ أَدْرَاعًا فَهَلْ نَعْرَمُ لَكَ؟» قال: «إِلَّا يَا رَسُولَ اللَّهِ؛ لِأَنَّ فِي قَلْبِي الْيَوْمَ مَا لَمْ يَكُنْ يَوْمَئِذٍ». (رواه أبو داود). قال أبو داود: وكان أعاره قبل أن يُسلم، ثم أسلم.

فلم يأخذ النبي ﷺ هذه الدروع من صفوان قهراً رغم أنه كان مهزوماً بعد فتح مكة، حتى دَهِش صفوان من استعارته للدروع والنبي ﷺ فاتح منتصراً متمكناً، فسأله مستفسراً: «عارية أم غصباً؟» قال: «لا، بل عارية»، ولما فقدوا درعاً أراد النبي ﷺ أن يدفع قيمته!

### عدل الحبيب ﷺ مع أهل الكتاب

وإن تعجب من عدل الرسول ﷺ فيما سبق، فالتعجب كل العجب من موافقه ﷺ عندما يحكم بين مسلم ومن هو على غير دين الإسلام، ومن ذلك: لما أقرض يهودي جابر بن عبد الله وحان وقت السداد ولم يستطع، ذهب النبي ﷺ لليهودي يستنظره لعله يأجل فرفض فعاد وكلمه مراراً واليهودي يرفض فأمر النبي جابراً بالقضاء. (صحيح البخاري: كتاب الأطعمة).



هل العدل مع غير المسلم ضعف في الدين، أم قوة وثبات على المبدأ؟

### أخلاق محمد ﷺ تدل على العدالة المتأصلة فيه



«إن استعداد هذا الرجل لتحمل الاضطهاد من أجل معتقداته، والطبيعة الأخلاقية السامية لمن آمنوا به واتبعوه واعتبروه سيدياً وفائداً لهم، إلى جانب عظمة إنجازاته المطلقة، كل ذلك يدل على العدالة والنزاهة المتأصلة في شخصه»

منوتجيمري

مستشرق بريطاني.

### عدل الحبيب ﷺ في إقرار الحقوق

ويقرر النبي ﷺ حقوق الضعفاء، ويحذر الناس من بخسها فيقول: «إِخْوَانُكُمْ حَوْلَكُمْ - أَي من يخدمونكم - جَعَلَهُمُ اللَّهُ تَحْتَ أَيْدِيكُمْ فَمَنْ كَانَ أَخُوهُ تَحْتَ يَدِهِ فَلْيُطْعِمْهُ مِمَّا يَأْكُلُ وَلْيَلْبِسْهُ مِمَّا يَلْبَسُ وَلَا تَكْلَفُوهُمْ مَا يَغْلِبُهُمْ فَإِنْ كَلَّفْتُمُوهُمْ فَأَعِينُوهُمْ» (متفق عليه). وكان ﷺ يأمر أصحابه بالموازنة في الأمور وإعطاء كل ذي حق حقه، فقال: «يَا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍو بَلِّغْنِي أَنَّكَ تَصُومُ النَّهَارَ وَتَقُومُ اللَّيْلَ فَلَا تَفْعَلْ فَإِنَّ لِحَسَدِكَ عَلَيْكَ حَظًّا وَلِعَيْنِكَ عَلَيْكَ حَظًّا وَإِنَّ لِرِزْوَجِكَ عَلَيْكَ حَظًّا» (رواه مسلم).



اذكر ثلاثة أمثلة على العدل في شرائع الإسلام الذي أرسل به نبي العدل ﷺ.

## كيف تقتدي به ﷺ

1. اتبع الحق دومًا، واحكم بالعدل أبدًا، ولو على نفسك أو والديك أو الأقربين.
2. إذا وليت أمرًا فلا تجعل عداوتك لشخص سببًا في أن تظلمه أو تبخسه حقه، قال تعالى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ ۤأَلَّا تَعْدِلُوا ۚ اَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة: 8].
3. لا تظلم أحدًا أيًا كان السبب وأيًّا كان الشخص، وأد الحقوق التي عليك.
4. اقتد بالنبي ﷺ وكن حكمًا عدلًا بين أهلك، واقسط في القسمة بين أبنائك، وعلمهم هديه ﷺ في العدل.

